الدعامة النبوية



أنور الجندي

مطبعة التوكل ٣٣٤ ش الخليج المصرى الجماميز مصر

قيادة الدعوات

« هنالك ارتباط وثيق بين المصلح والرسالة التي يدعو إليها . وما عرف الناس دعوة منفصلة عن قيادتها وإلا فهي نظريات في بطون الكتب أو كلمات على أفواه الناس ، وإنما يكون المصلح هو المظهر العملي التنفيذي لمناهجه »

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الزعامة النبوية ﴾

الكلام فى زعامة الرسول ، وقيادة الدعوات ، واسع فياض وقد احببنا أن نلم به فى هذا الجزء فلم يتيسر لنا لسعة البحث وعمقه واتساع جوانبه فجعلنا هذا البحث كالآتى :

(١) قيادة الدعوات فى علم الاجتماع والنفس وهى دراسة حديثة تطبيقية على سيرة رسول الله

(٢) النظام الاسلامى والقيادة التنفيذية

(٣) القيادة فى حياة الرسول ، والرسول « المصلح التنفيذى »

(٤) زعامة الرسول والزعامة النبوية كما يراها « هرقل »

(٥) أصول القيادة من القرآن الكريم

وبقى بعد هذا أن نتكلم عن « الصلة بين الرسول والأتباع » وهى فصل من فصول كتابنا القادم « القيادة الجندية »

تقول أحدث نظريات علم الاجتماع والنفس أن :

(١) قيادة الرأى هى سيادة ارادة شخص معين له نفوذ قوى بين الناس ، هذه (السيادة) أو (السلطة) تعتمد على (قوة الشخصية) ومفعولها فيمن حولها .

وتعتمد قوة الشخصية على « عناصر ذاتية » منها النبوغ والجرأة والبلاغة ، وبقدر قوة (المبادىء) أو (الدعوة) التى يحملها الزعيم يكون نصيبها من النبوغ والأثر

فالى أى حد تكون الدعوة ، يكون أثرها ، فردية جزئية أو جامعة شاملة ، مبادىء وضعية ، أو نظم سماوية ، انتهازية أو مثالية .

ومثال ذلك الفوارق بين الدعوة الشيوعية والدعوة الاسلامية

فالاولى : انتهازية ، فردية ، جزئية ، وضعية ،

والثانية : جامعة ، شاملة ، سماوية ، مثالية

أما (قيادة الرأى) فهى تجميع الناس حول فكرة معينة لتبديل أوضاع قائمة الى خير منها ، يرى الجمهور معها خطأ الوضع القائم ، وضرورة الوضع المقترح ، وتقوم هذه القيادة على

مقاييس جديدة لفهم الامور ، وتقدير طبائع الأشياء ، مغايرة للوضع القائم الموروث ، تبدو فى نظر بعض الجامدين غريبة ، وترمى الى الانتقال من وضع الى وضع خير منه .

(٣) « قائد الرأى »

ويعتمد قائد الرأى على إقناع الناس بالخطابة والحديث والكتابة والاتصال الشخصى وله فى كل حالة من هذه الحالات اسلوب خاص وتكون شخصية وسمته ومظهره الجديد بعيد الأثر فى كسب الأنصار والاتباع ، ويعتمد على التربية والتكوين والتجميع ويعتبر الزمن جزء من العلاج .

وفى القيادة المحمدية ، نرى دعوة إسلامية ترتبط به ، تمتاز بالشمول للروح والسياسة والاجتماع ، تعتمد على العقل والعاطفة معا ، وتقوم على مزج الوقائع بالمثل العليا

وهنا يبدو الفارق بين الفلاسفه والمصلحين ، فقد كانت قريش تظن أول الأمر أن أمر محمد لا يعدو أمر ورقة أو غيره من الحكماء وفلاسفة الأديان .

كما تتطلب القيادة من القائد الشجاعة والسخاء والمشاركة .

(٤) وسائل قيادة الرأى التنفيذيه

تتطلب معرفة طبائع الناس ، وتقوم على فقه فى طرق تنظيمهم وتحريكهم فى فرص معينة ، واعداد الخطط لاثبات أثرهم وقوتهم فى فرض رأيهم وتوجيه دفة الامور فى محيطهم

(٥) صفات القائد المنفذ

- يضع الخطط ويحدد السبل لتنفيذها
- ينظم مجهودات الاتباع ويعمل على استغلال مقدرتهم
- إشعارهم بالمسئولية
- اختيار الأعوان مع التأكد من اخلاصهم وثقتهم
- إثارة الاهتمام من وقت لآخر بأغراضه
- أخذ الناس إلى الدعوة بالاقناع دون ضغط أو تحتيم
- يستشير أتباعه وأعوانه الكبار وتكون الكلمه فى نهاية الامر له وحده وهذه تسمى (القيادة الابوية) فى علم النفس الحديث .
- الاعتماد على التجارب الخاصه والكفاية الممتازة والمقدرة الكاملة

والزعامة الاسلاميه تقوم على التوجيه لأعلى التمثيل فهى التى توجه الجماهير وتقودهم، لا أن تنوب عنهم وتستجيب لهم، وهى بذلك ترفع مستواهم ولا تجاريهم فى ضعفهم وقصورهم

والقيادة الاسلامية تؤمن بالشمول ولا تتحزب عند وضع معين، ولا تنهار إلى ناحية خاصه، وهى تتميز بعنصر الاجمال والارتفاع عن الحدود الضيقة، وبسط الجناحين على المذاهب المختلفة، ومصدر ذلك شمول الاسلام وسعته وكماله

يزيد على ذلك، فيكون أبعد أثرا، احترام الاسلام الاديان السابقة واجلاله للكتب والانبياء ممن سبق

(٦) الاستجابة :

تتم الاستجابة

(١) عندما ينكشف عن عيون الناس حجابهم فيتبينوا حقيقة أوضاعهم، ويلمسون الانحطاط السائد فى محيطهم، وعناصر الفساد المسيطرة عليه، والحاجة الماسة، إلى وضع جديد، والترقب المتصل لنظام أصلح، وتجربة مغايرة، عندئذ تبرز فى أفراد المجتمع روح جديدة، هى تحول الرأى العام الذى

يضيق من وضعه القائم ، الممل لطول تكراره وركوده، والذي يتطلع الى الامل في الوضع الجديد

(٢) المقارنة بين الدعوات القائمة ، وبين الدعوة الجديدة ثم بين القائمين على الاولى ، والنماذج الجديدة ، وبتحليل الشخصيات والاستنارة في المبادىء تنبعث عوامل القوة في النفوس .

(٣) « رغبة الانقياد » وحب الناس لاتخاذ أمره - أو قيادة وطبيعة بعض الناس اللينة القادرة على التشكل والتحول ، مع قابلية التطور والارتقاء .

(٤) الكفاية الذاتية في القائد ، والفهم الواسع . والايمان العميق ، وجاذبية الفكر الصحيحة السليمة مع تقدير قوة التجمع حول الفكرة الحق ، وأثره في تحقيق الفكرة مما لا يتيسر لفرد بمفرده ، وضرورة التجنيد حتى يمكن الوصول الى فرض الفكرة على المجتمع وسيطرة المبادىء الجديدة وتنفيذها .

قائد الدعوة

يمتاز قائد الرأى بشمائل خاصة يندر أن تتجمع في كثير من

الافراد العاديين ، وهى فى مجموعها سمات انسانيه رفيعة لا يختص الحق بها الا القليل من الرجال الذين توكل إليهم قيادة الدعوات وتجديدها ، وهى فى (رسول الله) بارزة موفية على الغاية ، وفى المصلحين والمجددين من دعاة الإسلام من بعده واضحة بالطبع ، ومستمدة من أسوة الرسول ونهجه وشخصيته

وهذه بعض هذه الشمائل جملة :

(١) الابتكار والتجدد والاختلاف عن الاوضاع القائمة فى المظهر كما فى التكيف

(٢) تقوم العلاقة بينه وبين الجماهير على الحب والانجذاب يعقدون الأمل فيه ويعلقون الرجاء عليه

(٣) يكون على قدر كبير من الحذر واليقظة والدهاء

(٤) يعرف بالقدرة فى التعبير ، والقوة فى التبليغ حتى يضطر أصحاب السلطان إلى الإذعان له والاستجابة إليه ، وعندما تصل دعوته إلى ذروتها تكون انهاء لعهد قائم واقامة لعهد جديد

(٥) يكون قائد الرأى دائماً فرد من صميم المجتمع الشعبى فيه روحه واستجاباته

(٦) يخلو من الانتهازية وحب التصدر، والنفع الذاتي وارضاء الجماهير والانسياق في اخطاءهم الموروثة. ولا يتنافى ذلك مع حبهم، اذ أن حبهم هو أول عامل لاصلاحهم.

(٧) يكون لبقا في تقدير الظروف، واصطناع المداراة والسياسة مع المحافظة على سمو المبادىء وكمالها

(٨) قدرة القيادة على التطور و (العصرية) حتى لا تصاب مبادئه بالجمود وتلك ميزة الاسلام في تجدده

(٩) القدرة على التضحية بالوقت والمال في سبيل الفكرة دون ترقب الجزاء أو انتظار الأجر

(١٠) تمتحن القيادة بالناس وتمتحن بالأتباع أيضا، ولا تكون في الاسلام نوعا من (ترويض الجماهير) ولا مصادقة الجماهير، ولا هي تساير ميول الجماهير أو تجعل من نفسها (تمثيلا برلمانيا للجماهير)، وانما هي غير ذلك كله، هي قوة تنقل الناس وتوجههم إلى الفهم الصحيح، وتستشير أهل الحل والعقد، ثم يكون لها الرأي الأخير

(١١) القدرة على تبادل المشاعر بين القادة والناس

واعداد الجماهير وتثقيفهم ونقلهم من الفردية إلى الجماعية ، ومن الفراغ الى البرامج .

(١٢) الزعامة فى الاسلام لا تظهرها الصدفه ، وانما هى من صنع الله ، يعدها الحق فى وقتها لحماية الدعوة ، وحمل اللواء وتجديد المجتمع ، تبرز حين يعم الفساد ، ويكثر الزيف ، ويستشرى الشر .

(١٣) لا تعتمد على الهياج ولا البهلوانيه ولا الخطابة وانما تعتمد على الصدق والعقل والإقناع

(١٤) ليس هناك قيادة بدون أنصار ، والقيادة الناجحه هى التى تعرف كيف تسوس الأنصار وتستعملهم فيما يحسنونه وتحسن امتلاك زمامهم

(١٥) يكون القائد مثالا عاليا للشجاعه والإقدام والغيرة والهمة والنشاط ، والإخلاص والمثابرة ، والدأب والجلد ، وتحمل المشاق ، فلا يتطرق إليه اليأس مهما بلغت العقبات

ومن شأن هذا أن يشعر الاتباع بمدى ضغط الأعباء وثقلها فيكون دائما أكثرهم سهرا واشتغالا ، ويكون من نتائج ذلك

كسبه ثقة انصاره والفوز باعانهم بقدرته وكفايته

(١٦) ليس فى استطاعة كل انسان أن يكون زعيما وقائدا والقائد الصادق هو ذلك القادر على النفاذ الى الأشياء والأشخاص بقوة الملاحظه . وهو الذى يفهم طبائع الأشياء ، ويقرأ ما وراء السطور والمظاهر ببصيرته النافذة

(١٧) للسن حكمه ، وللاعمار تجاربها ، ولكثرة الاتصال بالناس من الصنوف المختلفه ، أثرها . ولأمر ما بعث الله رسوله محمد على رأس الأربعين حتى يكون أبا للصغار وأخا للكبار

(١٨) للملبس والمظهر والصورة والوجه أثرها فى نظر الناس ، وكلما كان القائد جميل الصورة ، وقورا ، وشعبيا ، كان اقبال الناس للالتفاف به أعظم

(١٩) لكل دعوة عصبيه ، وعصبية الدعوة الإسلاميه ، طهارة المنبت ، والاخوة ، والفدائيه

(٢٠) القوة الجسميه والصحه البدنيه وحماس النفس ، وتوقد الروح والمواهب النفسيه والثقافيه ، والذكاء وسرعه البديهة ، والتأثير والقدره على حل المشاكل ، والتغلب على

المصاعب كلها ، عدة القائد ووسائل نجاحه .

(٢١) الإعتدال والبعد عن الإفراط والتفريط ، وتقدير وجوه الأمور جميعها ، وتقدير الفشل والنجاح ، وعدم المغالاة فى تقدير النتائج .

(٢٢) يقول علم الاجتماع بنظرية التفرد الذاتى ومجملها أن من الناس من له من الشخصيات الكافيه والمواهب الذاتيه ما يؤهله لقيادة الرأى بالفطرة ، والواقع أن العبقريه هبة إلهيه تستلزم من العبقرى أن يوضحها ويجددها ، ويقدمها للناس على أن تغذى بالعناصر الاجتماعيه ، وملاحظة طبائع الناس ، وتذود بحواشى من التبسط والتواضع واللون الشعبى المألوف

* * *

هذه عبارات موجزة فى رأى علم الاجتماع فى الزعامة والقيادة وهى نظريات تطبيقية متمشية تماما مع الفكرة الإسلاميه ومع شمائل رسول الله ﷺ باعتباره إمام المصلحين وقد استعنا بدراسة بعض هذه النظريات بكتب نفسانية واجتماعيه نذكر من أهمها كتاب الدكتور عبد العزيز عزت « السلطة فى المجتمع »

﴿ النظام الاسلامى : والقيادة التنفيذية ﴾

تمتاز (الدعوة الإسلاميه) عن أى دعوه أخرى بأمرين :

(١) أنها نظام شامل ، ربانى سماوى ، صالح للانسانية كلها ، فى مختلف أزمانها وأماكنها .

(٢) أنها نظام عملى ، ومبادىء تطبيقية ، وقواعد تنفيذية وبهذين العنصرين تختلف دعوة الاسلام عن غيرها من الدعوات وليس هذا موضع التفصيل ، ولذلك مكانه عندما نتحدث عن النظام الاسلامى ، وانما نريد أن نقول : أن صلاحية المبادىء والنظم لا تكون « على الورق » ، ولا تقرر نظريا ولا تخضع مطلقا لتقدير الاذهان أو العواطف ، وانما يتبين صحة النظام أو صلاحية المبدأ بتنفيذه وتطبيقه .

والنظام الاسلامى الذى سجل القرآن قواعده العامه ، هو الذى نفذه رسول الله ، وطبقه على نفسه ، وعلى مجتمعه الصغير فكان خلقه القرآن ، وكان هو المثل التنفيذى للنظام الذى دعا إليه وكذلك الدعوة الاسلامية فى مختلف عصورها وحلقاتها

تتمثل تطبيقيا فى (القيادة) القائمة عليها والتى تتجمع فيها وحدها خيوط الدعوة فتكون هى « محطة » الارسال والاستقبال للدعوة .

والقيادة ممثلة فى رسول الله ، وفى كل خليفة لدعوته ' أو مجدد أو مصلح ' انما تقوم على موازنة الامور ، ومعادلة الاطراف . فالقيادة هى التى تعرف أقدار أتباعها ، ومدى قوتهم ، وصلاحيتهم للاعمال ، فهى توزعهم بحسب هذا التقدير وهى التى تضع كل عضو فى الجماعة موضعه ومكانه ، ثم هى التى تتصل بها هذه الفروع لتحاكم الامور ، وتقرر فيها الرأى الاخير

وقد كان رسول الله الداعى والقاضى والسياسى والقائد والقائم على بيت المال ، وكان تصريف هذه الامور يجرى تحت نظره وأمره ثم يكون له الرأى الاخير فى انفاذ المسائل فى مجملها

* * *

هناك فوارق بين القيادة والزعامة والامامه .

أما (القيادة) فترمى فى مظهر اللفظ الى قيادة الجيوش

وتطلق (الزعامة) فى عرف هذا العصر على الرئاسة السياسيه

والحزبيه ويقصد من كلمة (الامامة) امامة الصلاة .

ولكنى هنا اطلق لفظ (القيادة) على جماع هذه الانواع فقد وحد الاسلام السياسة والدين والحرب وجعلها فى «زعامة» واحدة تمثلت فى رسول الله ﷺ

ثم جعلها الاسلام فى خلفائه من بعده، وبقيت قاعدة طبيعية اساسية للنظام الاسلامى، بل تكاد تكون عقده هذا النظام ونواته.

وقد فضلت لفظ «القيادة» لانه أشمل وأعم من اللفظين الآخرين وحتى اتحاشى البحث فى معنيهما فى التاريخ

القيادة هى همزة الوصل بين (الرسول) والاتباع ، وهى الرباط الذى جمع بينهما ، فهى لم تكن صلة رئاسة أو تسلط أو سيادة على أى وجه من وجوه التفاسير التى يتداولها الناس فى هذا العصر أو يفهمونها فى تقدير العلاقة بين الزعيم والاتباع .

وانما كانت هذه القيادة من جانب الرسول رحمة واخوة ووفاء أكثر مما كانت أمراً أونهيا ، وقد كان (الحب) من رسول لاتباعه ومن الاتباع لقيادتهم يفعل فى نفوسهم فعل السحر ، ويبلغ بهم الذروة فى الطاعة والاخلاص والتضحية .

فلقد كانوا يفضلونه على أبنائهم وأبائهم واخوانهم . وكانوا يفتدونه بكل ما يملكون : انفسهم وأموالهم، بل لقد بلغ الامر

الى أبعد من هذا الحد ، اذ جعل الاسلام حب الله ورسوله فريضة محتمة على كل مسلم لايكمل إيمانه بدونها

وبلغت الصلة بين (القيادة) ممثلة فى رسول الله و « الجندية » ممثلة فى اتباعه الى الحد الذى يصوره الحق تبارك وتعالى فى قوله (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم)

☆ ☆ ☆

وبين زعامته وبين الزعامة الحديثة اختلافات وفروق .

فقد قامت زعامة اليوم على القوة المادية والثروة أو العصبية ولكن زعامة محمد قامت على الفقر والألم والغربة وكانت عصبيته هى أول من حاربه وخاصمه

ان زعامة اليوم قامت على اختيار الناس أما زعامة محمد فمن اختيار الله ان زعامة اليوم قامت على الخطب المكتوبة أما زعامة محمد فقد قامت على البلاغة العالية والبيان الرائع

زعامة اليوم : زعامة أقليمية ، قامت على الصدفة المحضة ، واستغلال جهل الشعوب ، ولكن زعامة محمد بدأت عالمية وقامت على حاجة الدنيا الى نور جديد فكانت لجهل الشعوب علما ولآلامها علاجا .

قتلت الزعامة الجديدة قوة الأمم ومزقت روح الوحدة أما زعامة محمد فقد خلقت من الحفاه العراة أمة ، ووحدت القبائل وأذابت العصبية وجمعتها تحت لواء واحد

عاش زعماؤنا في الأبراج والقصور على الغنى والمال والثراء وعاش محمد على الفقر ونام على أدام حشوة ليف، كان طعامه التمر والشعير وملبسه الكساء الخشن الغليظ

قام زعماؤنا على المنفعة والمصلحة، حكموا بالقهر والبغى والاعتساف وخاصموا اعنف الخصومة وقام محمد على التضحية والبذل والاحتمال ومراعاة الخصوم والوفاء لهم.

عقد زعمائنا الحقوق الواضحة، وساوموا في الحرية الصريحة ولكن الرسول، بسط التوحيد ولم يقبل المساومة، وجمع الناس

ارسل زعماؤنا الاتباع الى الميادين ، وحرضوهم على الشغب، واعتصموا بالبيوت والغرف الدافئة وأهلكوا الانصار وحبسوا انفسهم على المتاع والترف والاثم، ولكن رسول الله عمل مع الجندى في الحرب وحفر مع المسلمين في الخندق وبنى مع العامل في المسجد وتعرض لضربات العدو في أحد ولم يطلب من أصحابه جهداً لم يبذل هو مثله وأكثر منه

القيادة فى حياة الرسول

القيادة أصل من أصول الاسلام ، وقاعدة من قواعد النظام الاسلامى ، بل هى الميزان الدقيق الذى يضع الأمور فى مواضعها ويعطى كل جانب منها قدره ومكانه بجوار الآخر بغير افراط ولا تفريط .

(١) والقائد جزء من الدعوة ، ولا دعوة بغير قيادة ، وعلى قدر الثقة المتبادلة بين القائد والجنود تكون قوة نظام الجماعة ، واحكام خططها ، ونجاحها فى الوصول الى غايتها ، وتغلبها على ما يعترضها من عقبات وصعاب فاولى لهم طاعة وقول معروف .

وللقيادة حق الوالد بالرابطه القلبيه والاستاذ بالافادة العلمية ، والشيخ بالتربية الروحية ، والقائد بحكم السياسة العامة للدعوة ، والثقة بالقيادة هى كل شىء فى نجاح الدعوات ،

وشروط «القيادة» الصالحة يمكن اجمالها فى خمس عناصر هى :

١ ــ وضوح القيادة ونصاعتها

---

(١) من رسالة « من الى اخوان الكتائب » لقائد الدعوة الاسلامية فى القرن الرابع عشر الهجرى فضيلة الاستاذ حسن البنا

٢ ـ الحرص على سلامة الجماعة
٣ ـ الامتزاج الروحى والعاطفى
٤ ـ قيـــادة الاتباع على نور
٥ ـ المشاركة فى السراء والضراء

وقد توافرت هذه القيم العليا لشخصية القائد فى رسول الله بأوفى بيان واوضح برهان

الرسول : « المصلح التنفيذى »

(١) النظام والاختيار

من شروط المصلح أن يكون تنفيذيا لا نظريا ، وأن تتسم « الناحية العملية » (١) بالنظام الدقيق (٢) وحسن اختيار العاملين وكذلك كان رسول الله ﷺ

(١) أرسل فى غزاه (مؤتة) قائد وخليفة للقائد الأول وخليفة للثانى ثم وضع الخطة فيما يكون بعد ذلك لو أصيبوا ، بأن يختار المسلمون رجلا رابعا . وكان ذلك أمره فى كل غزاه أوسرية أوسفر يضع أمر الناس فى (رجل) يتخيره ويكون ممتازا بصفة من الصفات

فعبد الله بن جحش اقدر أصحابه فى السرية على الجوع والعطش

، وأبو بكر فى أمارة موسم الحج اصبر الناس ، وأفسحهم صدراً على تحمل مشاق السفر. وعثمان فى سفارة مكة أقرب الناس الى نفوس قريش ، وأقدرهم على التفاهم معهـــم ، والعباس فى مناداته على المسلمين الفارين من نبال (حنين) اجهر النـاس صوتا ، وعلى المبعوث بصدر براءه اقرب الناس نسبا اليه ﷺ ويرسل (عمرو بن العاص) على رأس الجيش ويضع له خطـة التفاهم والتبعية لأبى عبيدة .

(٢) : لما أراد الرسول ان يصادر الخمر أمر عبد الله بن عمر ، أن يأتيه بمديه ، ثم أرسل بها فارهفت ، ويقول عبـد الله : انه أعطانيها وقال اغد بها على فخرج إلى أسواق المدينة وفيها زقاق الخمر قد جلبت من الشام ، فاخذ المدية فشـق ما كان فى تلك الزقاق بحضرته ، ثم أعطانيها ، وأمر الذين كانوا معه أن يمضوا معى ويعاونونى ، وأمرنى أن آتى الأسواق كلها فلم أجد فيها زق خمر الا شققته .

وهكذا يتجلى فى تصرف رسول الله التنظيم والقاعدة ، مع الترتيب والاشراف

(٢) العزم والحزم

تظهر صفتى العزم والحزم بجلاء فى تصرفات رسول الله وسجاياه وتوجيهه الأمور

(١) حين لبس لامته فى (أحد) لم يتراجع ، بعد أن تراجع المسلمون عن رأيهم وقال : لا ينبغى لنبى لبس لامته أن يضعها حتى يقــاتل .

(٢) حين انضم إلى جيش المسلمين (حبيب بن يساف) وكان مشركا شجاعا، فرح به المسلمون فلما علم به رسول الله رده . وقال لا ننتصر بأهل الشرك على أهل الشرك .

(٣) طلب منه أحد المسلمين أن يلى عمـلا فقال له : أنا لا نستعمل على عملنا من أراده .

(٤) أمر الا يوقظ أحد أحداً فى بيعة (العقبة الكبرى) عند ماتواعد مع أهل يثرب على الالتقاء فى المكان الذى عينه بعد مضى الهزيع الأول من الليل ليكون ذلك تقديرآ عمليا لدرجة الايمـان والاقتناع

(٥) أمر عبد الله بن جحش الا يستكره أحداً على المضى معه فى سريته . وبذلك يتبين القائد مدى قوه أيمان الاتباع وطاعتهم

(٦) لما أرسل عثمان لأهل مكة فى « الحديبية » للتفاهم فى الدخول الى مكة معتمرين وحبسته قريش، وأذيع أنه قتل، وقف تحت شجرة الرضوان وقال : لا نبرح حتى نناجز القوم : بايعونى فبايعه المسلمون، وضرب بكفه اليسرى وقال : هذه بيعة عثمان

(٧) قال لاسامة وهو يستشفعه فى العفو عن المخزومية السارقة اتشفع يا أسامه فى حد من حدود الله، والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .

(٨) يتجهز لفتح مكة ويخفى الأمر عن أبى بكر وعائشة

(٩) أخذت القبائل تدعوه إلى المنعه والقوة، وهو فى طريقه الى داخل يثرب فكان يدعوهم، ويمضى فى طريقه غير مؤثر قبيله منهم على الأخرى باستجابة دعوتها .

٣ ـ قوة القيادة

تتجلى قوه القيادة فى أن تلقى الاحداث والازمات بقلب مطمئن وعقل ناصح، وعاطفة مشرقة، فلا يتأتى لتلقى أى نبأ مهما بلغ خطره اثر فى النفس من آثار الاضطراب أو الخروج عن الهدوء الطبعى

وليس الصمود لمواجهة الحوادث ضعفا أو جمودا ولكنه

قدره على مواجهة الاحداث. وقد كان ﷺ مع هذا رقيق الشعور، ولكنها الطاقة القوية والحصانة الكاملة والتقدير الصحيح لاوضاع الحوادث والامور ذلك لأن أبرز علامات القيادة: أنك ترى فيها شخصية تستطيع ان تحمل من الاعباء أكثر مما يحمل الناس.

وقد كان ﷺ محبوبا بين أصحابه مهيبا من خصومه وأعدائه وكان عليه الصلاة والسلام وسطا فى كل شيء، كان رقيقا ولكنها الرقة التى لا تصل الى حد الضعف والخوف وكان شديدا ولكنها الشدة التى لاتصل الى حد القسوة والجفاء

ولقد عرف كل نبى من الانبياء، أوبطل من الابطال صفة خاصة أوسمة مميزة، تكادأن تكون علما عليه، أما رسول الله فقد برز فى كل نواحى الشخصية الانسانية

ولقد كان ﷺ ذوشخصية جامعة كاملة، ليس فيها نسك الناسكين فى الصوامع مهما بلغت صلتها بالله قوة. وليس فيها احتقار المال والغنى مهما أعرض عن متاع الدنيا ورضى بالقليل وليس فيها الرغبة الى الانتقام مهما بلغت به القوة والفروسية يسيطر المصلح على اتباعه بالعلم أو بالقوة أو بالمال أما هو فقد جمع بين صفات الزعامة الجذابة المسيطرة، ذات الاشعاع

القوى من غير ارهاب أو تحذير أو اغراء

(١) أوتى العلم والبيان والبلاغة حتى بلغ فيها الذروة بين فصحاء العرب وبلغائهم فادهش (أبو بكر) وهو النسابة المعلم واللوذعى البليغ، ولم يخفها عن رسول الله فقال له النبي ﷺ في بساطة ويسر: أدبني ربي فأحسن تأديبي.

(٢) أوتى ضبط النفس فلم تحص له بادرة بالرغم مما لقى من جفوة الاعراب وسوء التعبير

(٣) أوتى سداد الرأى وسرعة الخاطر ووضوح التفكير وحدة الذهن واللباقة وحسن الحديث فكان يسلم له الرجل القوى المعتز بقوته وكبريائه بعد كلمات قلائل:

مر الطفيل بن عمرو الدوسى بمكة فسعى اليه بعض وجوه قريش فقالوا له: إن محمداً فرق جماعتنا وشتت شملنا وإنا نخشى عليك وعلى قومك؛ فلا تكلمه ولا تسمعن منه شيئا

قال: فغدوت على المسجد فاذا رسول الله ﷺ قائم يصلى عند الكعبة فقمت منه قريبا، فأبى الله إلا أن يسمعنى منه بعض قوله،

فسمعت منه كلاما حسنا ! فقلت فى نفسى، واثكل أمى والله

لأنى لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول .

فمكثت حتى انصرف الى بيته فتبعته ، حتى اذا دخل بيته دخلت عليه وقلت .

يامحمد : ان قومك قد قالوا لى كذا وكذا ، فوالله ما برحوا يخوفوننى أمرك حتى سددت أذنى بكرسف لئلا اسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يسمعنى قولك فاعرض على أمرك .

فعرض على الاسلام وتلا القرآن فوالله ما سمعت قولا قط أحسن منه ولا أمراً أعدل منه : قال فأسلمت وشهدت شهادة الحق

(٤) أوتى الجاذبية والاشعاع يجتذب به قلوب من يتصل به ، هذا الى زهد فى الدنيا واكتفاء بالبلاغ فيها . وإيمان بدعوته يملأ عليه كل أقطار نفسه فلا يبقى بعدها أمراً من أمور دنياه يهمه أو يصرفه .

(٥) ثم رسالة سماوية ودعوة نقية وتأييد من الحق تبارك وتعالى: بهذه الصفات الممتازة استمال القلوب بالحب وانصاع الناس له بالسمع والطاعة دون أن يكون لهم غرض أو مطمع .

٤ - الفقر والأجر

(١) « الفقر » فى رسول الله أعراض عما تملك النفس وزهد فيه ، وانشغال عن متاع الدنيا بما هو أجل منه وأخطر ، فما كان رسول الله يستطيع ، وهو يحمل أعباء هذه الدعوة الضخمة ، أن يكون لديه من سعة الوقت والبال ، ليكون طعامه وملبسه غاية أو متعة ، على حسن ملبسه وعنايته بمظهره وقد ضرب المثل بذلك المصلحين والقادة والاتباع حتى لا يصرف الترف رجال الدعوات عن حقوق دعوتهم ، وهى حقوق خشنة جافة لا يصلح معها الترف ولا اللين ولا الركون إلى بعض النعيم .

وأن ارتفاع (رسول الله) فوق مطامع المال والثراء والمتاع هو أول سلاح للنصر .

ولقد دخل رسول الله المسجد وكان المال مكدسا به ينتظر توزيعه ، فلم ينظر اليه حتى أتم صلاته .

ولم يمنع هذا التقدير من أن ينظر رسول الله الى الأمور نظرة شاملة فيقول لسعد : أنك ان تدع عيالك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس .

أو أن يسأل عن الرجل العابد فيقول الناس أننا نطعمه فيقول : كلكم خير منه .

بل أن هذا المعنى يستطرد منتظما مع ذلك الاعراض عن المال فلا يكون الحرص على المال - فى الاسلام - مفتاحا للمساومة أو التفريط فى حق من حقوق الله ، بل يكون المال عدة الحق ، وما يكون له فى القلب مكان

« لم يمتلىء جوف النبي شيئا قط وان كان فى أهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ، أن اطعموه أكل ، وما أطعموه قبل ولا سقوه شرب »

وما رفع رسول الله قط غداء لعشاء ، ولا عشاء لغداء ولا ولا اتخذ من شيء زوجين ، ولا قميصين ، ولا ردائين ولا ازارين ولا زوجين من النعال

وتوفى ودرعه مرهونة عند يهودى فى ثلاثين صاعا من الشعير وقد خير فاختار أن يكون نبيا فقيرا ولا يكون نبيا ملكا حتى يجوع يوما ويشبع يوما (أجوع يوما فادعوك وأشبع يوما فاحمدك)

(٢) الأجر

من علامات الدعوة الربانية الصادقة ، ومن قيود المصلحين أتباع الأنبياء ، وحمله ألوية الرسائل السماوية : ألا يكون لهم أجر ولا يسألون الناس عن جزاء .

« ياقوم لا أسألكم عليه أجراً ، ان أجرى إلا على الذى فطرنى » ، « وما تسألهم عليه من أجر ان هو إلا ذكرى للعالمين » « وإن توليتم فما سألتكم عليه من أجر إن أجرى إلا على الله »

ولا يتفق الأجر مع الزعامة الصادقة ، وجانب المال دائما هو عدة الفتنة وسبيل الامتحان .

وتقشف الرسل وازورارهم عن الأجر عدة من عدد النصر وسبب من أسباب ثقة الناس بالقائد ، واجتماعهم اليه

واقدقنع رسول الله ﷺ بالقليل من الطعام واللباس فكان طعامه الشعير ، ومركزه المسجد ، ومنبره من الجريد ، وفراشه من أدم .

وكان يقول ﷺ « جعل رزقى تحت ظل رمحى » وفى هذا معنى الكسب الشريف القوى الذى لا يكون إلا بالجهاد والقتال واغتنام الغنائم من الخصوم ولا تكون الغنيمة إلا بعد دحر الأعداء والادالة منهم فلا أجر على الدعوة والرسالة

وهو مقياس صادق فانظروا على ضوءه أمر الزعماء والقادة الذين يجعلون الأجر غاية والحزبية وسيلة إلى الثراء والتضخم

٥ ـ الأخوة والقيادة

كان رسول الله ﷺ أخا لكل مسلم وكان لأمثال أبي بكر وعمر وعلي وعثمان صاحبا ورفيقا ، ولكن ذلك كله كان له حد محدود ، وكانت صفة القيادة هي أغلب الصفات في تقدير الأمور وتوجيهها بين الرسول وأتباعه

فلا تكون الأخوة إلا ذلك الود والحب والوفاء المتعلق في ذاته بالقيادة المصرفة لأمر الدعوة ، والتي يقوم الحب ازاءها مقام الجندية الصادقة السامعة المطيعة في اليسر والعسر .

وهذه الأخوة فيما بين القائد والأتباع ، لا تقوم في يوم من الأيام أو في مظهر من المظاهر مقام (القيادة) أو يستغني بها عنها ، وإنما هي مستمدة قبل كل شيء منها ، خاضعة في كل ظرف لها

وكلمة « الاتباع » أبرز في نظام الدعوات العملية من كلمة (الأصحاب) .

وأما ما يراه بعض الناس من أن يكونوا القادة الدعوات أندادا وأصحابا ، دون فارق أو ما يراه بعض الاتباع من أن

يكون لهم مع قادتهم حقوق مماثلة متساوية فذلك لا يكون فى الدعوات التى تستمد من صميم الإسلام ولا بد أن يكون بين (الصحبة) و (التبعية) درجة تتميز بها القيادة عن الجندية .

٦ ـ لها وعليها :

للجندية على القيادة أن تستشار فى مهمات الأمور وإلا تنفرد القيادة بها فى غاية ولا تخدعها فى وسيلة ، ولا تطلب من الأتباع تضحية لا تبذل أكثر منها ، ولا تتقدم عن الاتباع بها . ولا تنفرد دون الجنود بمغنم مادى أو أدبى

ومن حق القيادة على الأتباع : أن يجيبوا متى دعوا وأن يضعوا أوقات فراغهم تحت تصرف الدعوة ، وأن يشتركوا اشتراكا فعليا فى العمل النافع مع احترام شعائر الدعوة والمشاركة فى مظاهرها ، وأن يكونوا على استعداد لتنفيذ ما يوجه اليهم من أوامر وتوجيهات

وكذلك كان الأمر بين رسول الله وأتباعه مما سنفصله فى مكانه من فصل (الجندية والاتباع)

٧ - الثبات فى وجه العواصف

(أهلية) القيادة لاستقبال العواصف بالثبات من أوضح الصفات وأبرزها فى رسول الله ﷺ واقد جاءت فترة على رسول الله واجهته العواصف من كل مكان ومع ذلك فقد احتملها راضيا مطمئنا : موت عمه وزوجته فى عام واحد، ثم مطاردة قريش وهجرته الى الطائف ورد أهل الطائف له

ثم حلقات الكيد التى يصوغها المنافقين واليهود ثم فى أقرب الناس اليه ، حادث الافك

ثم مقتل فريق من أصحابه غدرا فى حادثى بئر معونة والرجيع ثم أزواج يطلبن النفقة

هكذا ، صور متلاحقة من البلاء والامتحان، ابتلاء بالخصوم وإبتلاء بالاتباع وغيوم من الكيد والايذاء وحرب الاعصاب . هذا البلاء والامتحان هو الذى ينفى الخبث ويسد الثغرات ويقوم الصف .

٨ - مواجهة الحوادث

أوتى رسول الله ﷺ « الطبيعة المزية » التى عرفت بالقدرة على مواجهة الحوادث من أنواعها المختلفة ، وصورها المنوعة ،

في لباقة وقوة ، وهاك صور من هذه المواجهة النبوية للاحداث والأمور

(١) القوة والثقة :

القى على رأسه التراب فدخل إلى منزله وأخذت فاطمة تغسل عنه التراب وتبكي وهو يقول لها : لا تبكي يا بنية ، ان الله مانع أباك .

وأصبح بعد حادث (الاسراء) فحدث عنه زوجه أم هانى فقالت له وهي تعرف من أمر الناس .

ـ يا نبي الله لا تحدث به الناس فيكذبوك

ـ والله لاحدثنهموه

(٢) أدب الخطاب : لم يكن رسول الله يقدم توجيهاته في صيغة الأمر ولكن في صيغة « الرغبة »

قال المسلمين عند ما جاءه أهل هوازن مسلمين : إن هؤلاء قوم جاءوا مسلمين ، وقد كنت استأنيت بسبيهم ، وقد خيرتهم فلم يعدلوا بالأبناء والنساء شيئا فمن كان عنده منهم شيء فطابت نفسه أن يرده فليفعل ، ومن أبى فليرد عليهم وليكن ذلك فرضا علينا ست فرائض من أول ما يفيء الله علينا

(٣) خوفه من ربه : باتت مع رسول الله أوقية من مال جاء اليه ، فلما كان الليل وضعها تحت رأسه وفراشه عباءه ، فجعل لا يأخذه النوم ، فيرجع فيصلى . فقالت له عائشة : يارسول الله هل بك شيء ؟

قال لا : قالت : انك صنعت منذ الليلة شيئا لم تكن تفعله ، فاخرجها ، وقال هذه التي فعلت بي ماترين . انى خشيت أن يحدث أمر من الله ولم أمضها

وهو الذى يقول : بعثنى ربى على صراط مستقيم مثل حد السيف أن ان زغت عنه هلكت . ثم تلا « ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك ثم لا تجد لك علينا به وكيلا

(٤) حسن معاملة : يقول أنس خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لى أف قط ، ولا قال لشيء صنعته لم صنعته ، ولا لشيء تركته لم تركته

وقد كان يحسن معاملة اتباعه والمتصلين به فى لباقة ومداراة جاءه اعرابى يوما يطلب شيئا فأعطاه ﷺ : ثم قال له : أحسنت اليك ، قال الاعرابى : كلا ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم أن كفوا .

ثم دخل منزله وأرسل إلى الأعرابي وزاده شيئا . ثم قال أحسنت اليك . قال نعم . فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : انك قلت ما قلت وفى نفس أصحابى شيء من ذلك فان أحببت ، فقل بين أيديهم ماقلت بالأمس بين يدى حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك . قال نعم : فلما كان الغداة جاء . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضى : أكذلك ؟

قال : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا .

فقال رسول الله : إن مثلى ومثل هذا الاعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحب الناقه : خلوا بينى وبين ناقتى أرفق بها وأعلم . فتوجه اليها صاحب الناقة بين يديها فأخذ من قمام الارض فردها هونا هونا حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وانى لو تركتكم حيث قال ماقال فقتلموه دخل النار .

وهكذا يضرب رسول الله الامثال فى الحكمة وبعد النظر فى معاملة الاتباع بالرفق والرعايه حتى تستقيم الامور ويظل الجو صافيا لاتشوبه شائبه .

(٥) اريحية القيادة :

اطلق ابنة حاتم الطائى وقال أنها ابنه من رفع ذكر العرب فى الكرم ولو لم يكن مسلما

(٦) يعمل بنفسه :

كان رسول الله يحرس بنفسه ثلمة فى الخندق فاذا أذاه البرد يدخل قبته فتدفئه عائشة ثم يخرج الى الثلمة يحرسها وهو يقول : ما أخشى على الناس الا منها .

- وقد حفر فى الخندق بيده، وحمل المعول والمسحاه وحمل التراب فى المكتل

(٧) التجرد

عرفت (القيادة المحمدية) بالتجرد فى تصريف الامور حتى لا يطمع فيه طامع وهو القائل لفاطمة ابنته : سليني ما شئت لا أغنى عنك من الله شيئا ، والقائل يوم موت ابنه : يا ابراهيم : أنا لن تغنى عنك من الله شيئا

وقد جاء أسامه يشفع فى حد المخزومية فقال له : ان فاطمه لو سرقت لقطع محمد يدها

ولما نادت زينب فى الصلاة تعلن أنها أجارت العاص بن

الربيع قال بعد أن أتم صلاته : هل سمعتم ما سمعت قالوا نعم :
قال ان المسلمين يجير عليهم أدناهم وان رأيتم أن تطلقوا لها اسيرها
فافعـــلوا

وهو الذى يقول يوم انكسفت الشمس بعد موت ابراهيم
: أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد
ولا لحياة أحد :

(٨) ـ الايماء

تحرص القيادة فى تصريف أمورها على ان تظل فى طى الكتمان
حتى لا يكون لانكشافها أثر قد يفت فى عضد المحاربين

ولرسول الله فى ذلك مواقف ستأتى فى مكانها من « مغازى
الرسول » ونورد هنا منها واحدة :

فى غزوة الخندق علم الرسول بأن بنى قريظة قد نقضت عهدها
فارسل بعض أصحابه ليستطلعوا الخبر وقال لهم الرسول اذا
رجعتم فالحنوا لى لحنا أعرفه

فلما عادوا : سألهم الرسول : ما وراءكم

قالوا : عضل والقارة

. . . يعنون (الغدر)

تلك « لمحات » من شمائل القياده وتصرفاتها « التنفيذية » فيها النظام الدقيق وحسن الاختيار

وفيها العزم والحزم ، وفيها قوة القيادة وتجردها ، وثباتها فى وجه العواصف ، وفيه الفقر والعزوف من الاجر

وفيها القوة فى موضعها واللين فى موضعه ، ومواجهه الحوادث بالحكمة أو بالايماء أو بالمدارة حسبما يتطلب الموقف وهى لمحات نافعة تفيد كل من اتخذ رسول الله قدوة وأخذ منه الاسوة ، وصدق رسول الله حين قال : كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته ، وتصرفات رسول الله مثل عالية لكل من ولاه الله أمراً أو وكل اليه عمل ، وفيها فضلا عن تصرفات الرعاة ، اخلاق الرجولة فى عمومها وعلى اطلاقها .

زعامة الرسول

يقول صاحب الطبقات الكبرى يصف « زعامة » رسول الله ﷺ .

« يحسن الحسن ويقويه ، ويقبح القبيح ويوهنه ، معتدل الأمر غير مختلف ، لكل حال عنده عتاد ، لا يقصر عن الحق ولا يجوزه الدين .

يلونه من الناس خيارهم ، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة .

لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر

لا يوطن الأماكن وينهى عن ايطانها

وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث انتهى به المجلس ، ويأمر بذلك ، ويعطي لكل جلسائه نصيبه ، لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه .

ومن جالسه أو قاومه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف

١ - لو قيست طبيعة رسول الله الانسانية بطبيعة الأفراد العاديين لظهر مدى الفارق البعيد بين بشاشته ورحابة أفقه وبين

عجز الناس وقصورهم ، وتلك طبيعة الرسل والمصلحين

وقد أوتى رسول الله ﷺ من القدرة ما تقصر عنه قوى الأفراد وتعجز عنه طاقاتهم ، وذلك مصدر الامتياز الإنسانى والاصطفاء الربانى فيمن يحملهم الحق رسالات الإصلاح ، والأنبياء ، أئمة المصلحين .

ولقد كانت قريش على خصومتها لرسول الله تهاب فيه هذا الاشعاع الروحى وتخشاه ، فقد كانت تعرف من استكناهها لطبيعته امتيازه عليها بالعفاف والوفاء والصدق والأمانة .

وهكذا : كانت تقدم حيث تقدم ، وترتد حين تريد ، وهى على حذر من هذه القوة الذاتيه الضخمة التى تعرف قدرها ، وتعرف أثرها الفعال فى مصير الأمة العربية

١ ـ نعت رسول الله ﷺ بانه (بشر رسول) وأوتى طبيعة إنسانية ممتازة ، يقبل العقل تصرفاتها وأحوالها ، ولا يرتد عنها عجزا عن الفهم أو شكا فى الحدوث . وهو حين يقبلها يجد لها فى نفسه الاعجاب والرضى .

أوتى الصبر الطويل على المكاره المتصلة والأذى المر ورد أمره كله إلى الله .

وقد خلص (رسول الله) من عوامل النقص ومركباته ، فلم تبرز فى تصرفاته أى نازعة من نوازع الكبرياء أو الطغيان وقد جنبه هذا النقص طيب المنبت وكمال العقل وسعة الأفق واعتدال الطبع ، وكمال الخلق والخلق

وكان توسطه واعتداله بين الصفات والأسباب جميعا ، مادية ومعنوية ، سبيلا إلى اكتمال شخصيته الإنسانية ، والشخصية الإنسانية لا تنحرف ولا تطغى إلا إذا كان لها مغمز أو مقتلا من الصفات الموروثة أو صور الخلق والحياة .

٣ ـ عرف رسول الله ﷺ بالصبر ، أشد ما يكون الصابرون قدره على احتمال الكوارث والنوائب ، واحتمالا المشقات والاهوال وقوة على مصارعة الخصوم ونضال المشركين

وبرزت فى حياته بصورة دائمة غير متقطعة ، صور المحن والاذى ولقد راعنى هذا المعنى حتى قلت عنه منذ ثمان سنوات فى أصول كتاب لم ينشر (لو جاء تاريخ محمد بغير المحن لانكرناه لان المحن هى السطر الاول فى الدعوات الربانية)

٤ ـ عقد له لواء الزعامة والقيادة بالفقر والتواضع لا بالمال والثراء ، فكان مثـــلا فردا لأول من جرد نفسه عن زيوف

الزعامة وهالاتها المادية . فقاتل مع المحارب ، وجمع الحطب ، وحفر الخندق ، وبنى فى مسجد بيده .

٥ ـ اختلفت زعامة رسول الله عن الزعامات ، بانها زعامة قدوة ، تصلح بأعمالها وهديها لعصرها وتصلح لتكون هديا لكل مصلح من بعد .

ورسول الله ، فضلا عن أنه نبى مرسل مؤيد بالوحى ، فهو امام المصلحين وقدوة المجددين ، وتاريخه وحركاته وأعماله كلها توجيهات عملية معدة لتكون نبراسا لكل مصلح مع اختلاف بسيط فى الاساليب والصياغة .

وكثير من المصلحين تنتظمهم دعوات فاذا أصيبوا أو قضوا ماتت دعواتهم ، لأنها قامت فى الاصل على أشخاصهم قبل أن تقوم على نظام مرسوم الدعوة

وزعامة رسول الله تحمل صبغة من الشمول والامتداد بحيث تكون صالحة للتوريث والاستخلاف

وحياة رسول الله (نموذج صالح) للتطبيق ، وهو عدة كل مصلح وداعيه يجىء من بعده .

وكل مصلح يسير على هدى رسول الله ، فانما هو منسب

يستمد ، ويجد فى كل حادث أو أمر موضع العبرة وطريق الاتجاه من سيرة رسول الله .

٦ ـ ومع ذلك فان هنالك صفات فى القيادة ليس من المطلوب دائما أن تكون للجنود فان للقائد وصفه وعمله وقيادته .

وهو أزاء وضعه الخاص يتصرف بما يلائم بين الامور ، وليس للجنود فى هذه الناحية مرمى للتقليد والاقتداء وقد يكون القائد فى بعض المواقف لينا هينا ، فى الوقت الذى يتطلب من الجندى أن يكون قويا شديدا . وكذلك يكون للقائد جوانب هى موضع القدوة من الجنود والاتباع وهناك أنواع تختص القيادة بها ولا يجوز فيها التقليد أو التأسى . ويستلزم هذا دراسة واسعة والمام كامل بما وراء التصرفات والاوضاع من مقاصد وأغراض .

٧ ـ بشاشة القيادة :

أوتى رسول الله ﷺ بشاشة القيادة فجمع بين بساطة التعبير وصفاء الكلام ووضوح المقصد مع اللسان العف ، والقلب الرحيم

فكان يعود المريض ويقبل دعوة العبد ، ويدعوا أصحابه بأحب الاسماء اليهم ويخفض جناحه للمسلمين ، وهو سهل فى أخذه وعطاءه ، وكان يدخل عليه الاعرابى فيناديه باسمه مجردا فيحلم عليه ويتلطف

وقد جمع وهو الكيس اللبق - بين الابوة الرحيمة والاخوة العـــاطفة .

وبلغ من بساطته ان يدخل عليه الداخل فلا يعرفه فيسأل أيكم النبي ؟

٨ - القيادة الناجحة

أوتى القدرة التى لم تتأتى من قبل لنبى أو مصلح فى جزيرة العرب من قبل . فقد جمع بين الاوس والخزرج وآخى بين المهاجرين والانصار .

ولم يتقدم الى بدر الا بعد أن أخذ موثق الانصار .

وعامل المنافقين فى رفق وحزم ، وكتم أمره دائما

وربط بينه وبين كبار رجاله بالمصاهرة . ولم يعتمد على الخوارق والظواهر الطبيعيه

ولم يكن يتكلم من غير حاجة ، وكان طويل السكوت ، وكان

يسمع قول أصحابه ولا يقول شيئا .

وكان يحرص على (الامارة) حرصة على النظام فكان يقول ايما ثلاثة خرجوا فى سفرفليأمروا احدهم وكان اذا خرج فى غزوة استخلف على المدينه وعلى الصلاة وكان يفضل فى أمارة الناس أحاسنهم أخلاقا فيقول(أيما رجل أم قوما وهم له كارهون لم تجز صلاته أذنيه)

ومع ذلك فقد كان يفضل الامارة والامامة على الفرقة ويراها رابطة الناس ولوكان فيها جورفيقول (الامام الجائرخير من الفتنة وكل لاخيرفيه وفى بعض الشر خيار)

وأوتى القدرة على احتمال التكذيب والافتراء والايذاء فى رحابة صدر وضبط اعصاب . فردته الطائف وقد أتاها داعيا ، وحدث أهل مكة بالاسراء فكذبوه وردته بنى حنيفة رداً غير جميل ومضى أبولهب وراءه فى كل طريق كلما اجتمع بقوم شككهم فيه وفى دعوته ، وطمع بنوعامر فى أن يكون لهم الامر من بعده وتوعدوه

وكان القائد (الحربى) الذى يرتب الرماه ويصف الفرسان ويشرف على المعركة

كان (الزعيم الإقتصادى) الذى فرض الزكاة وجمعها وأمر بالقتال عليها كالصلاة

وكان (ديمقراطيا) على بعدهذااللفظ مع واقع الديمقراطيه الهزيل اليوم فكان يقول (يكره الله عبدا يتميز عن أصحابه)

وكان (دستوريا) فى تصرفاته فكان يشاور قومه فى الأمر وينزل على رأى أحدهم

وكان (قانونيا) ضليعا افتى واجتهد وقنن القوانين وربى رجال الفقة من بعده على سنن الإجتهاد والإعتيال .

وكان (زعيما سياسيا) يعقد المعاهدات ويرسل البعوث ويخاطب الملوك ويوفد الوفود ويرفض تجديد العقود عندما تنقض قريش عهدها .

وكان أول عمله فى المدينة بناء مسجده ، فكان المحراب والبرلمان، ومقرالسلطة التنفيذية ومجلس الشورى ومركزالقيادة الحربية العليا

إذا نودى الصلاة جامعه هرع الناس اليه ليعلموا من أمر دينهم ودنياهم ما يريد رسول الله أن ينبأهم به .

وفى المحراب قامت دولة المساجد ، فكان يستقبل الرسول فيه

الوفود ، وتعقد فيه حلق العلم وتخرج منه الرايات والأعلام للحروب وتقرر فيه مصائر الجزيرة العربية ، وتوضع فيه قواعد الفتيا والتشريع ومن هذا المسجد خرجت مدرسة محمد وتخرج أبطال العالم

٩ ـ انسانية الرسول وعصمة الأنبياء

ومع تأييد الله له كان ينص ﷺ على انسانيته فى أكثر من موضع ، فقد روى عنه ﷺ قوله « لواستقبلت من أمرى مااستدبرت ما سقت الهدى »

وروى أيضا قوله فى مجلس القضاء (لعل أحدكم الحن بحجته فإنما أنا بشر) ويقول فضيلة الأستاذ حسن البنا فى هذا المعنى ان الإجماع منعقد على عصمة الأنبياء صلوات الله عليهم فيما يبلغون عن الله عز وجل وفيما يتصل بصميم الرسالة من قول أو فعل ، أما ما يتصل باجتهادهم فجزعليهم الخطأ والصواب فيه وفى ذلك معنى عال من معانى القدرة فى التشريع ، ورفع عقيدة التألية وقد نزل رسول الله ﷺ عن راية فى أحد لرأى أصحابه وفى بدر لرأى الحباب بن المنذر وفى تأبير النخل لقول أهل الخبرة ، عوتب فى الأعراض عن الأعمى وفى أخذ الفداء من

الأسرى ولا يقال فى هذا كله انه ارتكب اثما ، أوقارف معصية أو فعل مع ماينافى مع العصمة ، ولكنه اجتهاد إن وافق الصواب ففيه اجران والا ففيه أجر واحد .

١٠ – تعليمات القيادة

القيادة الاسلامية تقدر سماحتها وكرمها وحنانها فهى حازمة أشد الحزم فى تقرير أوضاعها العامة ، ولها فى ذلك تعاليم تتجلى فيها عظمة الاسلام وحكمة القيادة ، وهذه أمثلة تدل على مدى بعد النظر فى تقدير الأمور وتوجيه الاتباع بما يضمن لهم السلامة والخير وهى آية من آيات النظام

فيقول رسول الله ﷺ

– يسلم الراكب على الماشى ، والماشى على القاعد ، والقليل على الكثير

– لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه

– اذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث

– لا تقوموا كما يقوم الاعاجم

– يقول رسول الله للرجل الذى جاء يودعه : أما أن تركب وأما أن تنصرف ، ويقول لصاحب الدابة : أنت أحق بصدر دابتك منى

ويقول

- اذا سمعتم بالطاعون فى أرض فلا تدخلوها ، واذا وقع فى ارض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها

- اذا ركبتم هذه الدواب فاعطوها حظها من المنازل

- ان الله كتب الاحسان على كل شي ..

« الزعامة النبوية »

كما يراها « هرقل »

عند ما وجه (الرسول) دحية الكلبي الى هرقل بكتابه يدعوه الى الاسلام ، جمع الناس وفيهم فريق من أهل مكه .

ودار فى مجلسه هذا الحوار : بينه وبين أبى سفيان ، وهو حوار يدل على بعد غور (هرقل) وفهمه لامور الرسالات والزعامات وتقدير والأضاع والنظر وليس هو فى حاجة الى مزيد من التعليق :

ه - أيكم أقرب نسبا من هذا الرجل يزعم أنه نبي

ا - انا والمجيب هو (أبو سفيان)

ه - انى سائل هذا الرجل الذى يزعم أنه نبي ، فان كذبنى فكذبوه

: كيف حسبه فيكم

ا ـ هو فينا ذو حسب

هـ ـ هل كان من ابائه ملك

ا ـ لا

هـ ـ هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ما يقول ما قال

ا ـ لا

هـ ـ أيتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم

ا ـ بل ضعفاؤهم

هـ ـ يزيدون أم ينقصون

ا ـ بل يزيدون

هـ ـ هل يرتد أحد منهم من دينه بعد أن يدخل فيه

ا ـ لا

هـ ـ هل قاتلتموه

ا ـ نعم

هـ ـ فكيف كان قتالكم اياه

ا ـ الحرب بيننا وبينه سجال نصيب منه ويصيب منا

هـ ـ هل يغدر

ا ـ لا . ونحن منه فى مدة ولا ندرى ما هو صانع فيها

هـ - هل قال هذا القول أحد قبله
ا - لا

(ثم قال هرقل معلقا ومفصلا)

١ - (الحسب) سألتك عن حسبه فيكم فزعمت أنه فيكم ذوحسب وكذلك الرسل تبعث فى أحساب قومها

٢ - (الملك) وسألتك هل كان فى أبائه ملك فزعمت ان لا فقلت : لو كان فى أبائه ملك قلت رجل يطلب ملك أبائه

٣ - (الاتباع) وسالتك عن اتباعه ، أضعفاؤهم أم شرفاؤهم فقلت بل ضعفاؤهم ، وهم أتباع الرسل

٤ - (الاتهام) وسألتك هل تتهمونه بالكذب ، قبل أن يقول ماقال فزعمت أن لا ، فعرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله .

٥ - (الامتداد) وسألت هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له ، فزعمت أن لا ، وكذلك الايمان اذا خالط بشاشته القلوب ، وسألتك هل يزيدون أم ينقصون فزعمت أن يزيدون وكذلك الايمان حين يتم

٦ - (القتال) وسألتك هل قاتلتموه ، فزعمت أنكم قاتلتموه

فتكون الحرب بينكم وبينه سجالا ، ينال منكم وتنالون منه ، وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة

٧ ـ (الغدر) وسألتك هل يغدر فزعمت أنه لا يغدر وكذلك الرسل لا تغدر

٨ ـ (الدعوة الجديدة) وسألتك هل قال أحد هذا القول قبله أحد ، فزعمت أن لا ، فقلت لو كان قال هذا أحد قبله قلت رجل أئتم بقول قيل قبله

ثم قال : بم يأمركم

ـ يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف

قال هرقل : ان يك ما تقول حقا فانه نبي ، وقد كنت أعلم انه خارج ولم أك أظنه منكم، ولو أني أعلم اني أخلص اليه لاحببت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه

وليبلغن ملكه ما تحت قدمي

قال أبو سفيان : امر أمر ابن أبي كبشة ، انه ليخافه ملك بني الأصفر !

شروط القيادة الصالحة

تستقى من سيرة رسول الله وتاريخه شرائط القيادة الصالحه

والزعامة الصادقه ، فاذا وجدت التطبيق فى أصحاب الدعوات وصدقت القول بالعمل ، كانت من النبع والمورد ، وعلى القدم والهدف ، ومع الأسوة والهدى

- تبادل الحب والثقة والاخلاص بين القادة والاتباع
- قدره الاتباع على التسليم والطاعة فى العسر واليسر
- الصبر والسخاء والرجولة والشجاعة
- اتساع الأفق
- مجافاة الدنيا والأعراض عنها
- البلاغة والطلاقه
- يجمع على حبه أناس مختلفون مزاجا وتربيةوثقافة
- ايمان راسخ بما يدعوا اليهوقدرهعلى البذل
- الحصول على أكبر النتائج باقل التضحيات
- الحرص على سلامةالجماعة فلا يقدمهم فى تافة ولا يضحى بهم لمصلحة خاصة
- الحرص على المبادىء فلا تتقاص أمام المغانم الشخصية
- مداراة المنافقين والخصوم ، والرفق بالجهلاء والعتاة وخفض الجناح للاتباع والانصار

- طلاقة الوجه وانبساط النفس فى الازمات
- مطاولة الزمن، ومغالبه نظم الكون وتحويلها، بغير طفرة ولا تحطيم
- الثقة بالله مع تعقد الأمور، واربداد الظروف واظلام الاحـــداث
- النفس الموطدة على المكارة والجهاد بغير تعب أو ملل
- لايدخل المعركه الا بعد الاستعداد (بدر بعد السرايا)
- ثقة الاتباع واحتمالهم العذاب معه
- فهمه للاتباع وحسن توجيهم لما يصلحون له
- شدة عمر، واطمئنان أبى بكر وحزم خالد وقوة على كلها فروع من شجرة (القيادة المحمدية)
- الدعوة تكليف لا تشريف والقيادة بذل لا كسب والزعامة تضحية لا غنيمة

اصول القيادة

(من القرآن الكريم)

حدد القرآن الكريم أصول القيادة وواجبات الاتباع لها في جلاء ووضوح .

وأبان القرآن عن تبعات الدعوة وامتحانها وأزماتها وضرب الأمثلة للنبي بما كان بين الأنبياء وأممهم من تكذيب وايذاء .
وقد وردت الآيات في الصبر كثيرة متواترة

« فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها

فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت

واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه

واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا

اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب

فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار »

وانزلت الآيات في تكذيب الناس للانبياء بما لا يدع شكا في أن التكذيب والأيذاء من مواريث الرسل والمصلحين

« ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأى المرسلين . وان كان كبر عليك أعراضهم، فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أوسلما فى السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين . »

ثم يرسم القرآن طريق الرسل والمصلحين فى الاعتماد على الله والاكتفاء به والأعراض عن المشركين

(١) أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ، ومن يضلل الله فماله من هاد ومن يهد الله فماله من مضل أليس الله بعزيز ذى انتقام

(٢) ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون

(٣) واتبع ما يوحى اليك من ربك لا اله الا هو وأعرض عن المشركين ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل

(٤) فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون

٥ ـ وأنذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن

اتبعك من المؤمنين ، فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين

٦ - فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ، أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ، قل تربصوا فانى معكم من المتربصين

٧ - أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون أو نرينك الذى وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون فاستمسك بالذى أوحى إليك إنك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون . »

ويعرض القرآن لحزن الرسول من كفر الكافرين وأعراض المعرضين ، وهى سنة الدعوات

١ - يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم

٢ - فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ،

ثم يفرد القرآن صلة الرسول بالله خالصة مجردة

(قل انما هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم

حنيفا وما كان من المشركين . قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له بذلك أمرت وأنا أول المسلمين)

ثم يوجه الحق الخطاب إلى الرسول فى تبعات الدعوة ومسئولياتها فتقول

١ ـ انا سنلقى عليك قولا ثقيلا

٢ ـ ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفه منهم أن يضلوك وما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون ، وما يضرونك فى شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما

٣ ـ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس

٤ ـ فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم.

٥ ـ وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم .

٦ ـ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم

٧ ـ وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين . ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين .

وفى القرآن تحديد لشخصية القيادة ومقامها بين الاتباع .

١ ـ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين

٢ ـ فاذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم

٣ ـ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما

٤ ـ فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول

٥ ـ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله .

٦ ـ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم

٧ ـ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله »
(لا تقطعوا أمراً قبل أن يحكم به الله ورسوله)

ثم يرسم القرآن خطه الاتباع وأدبهم مع القيادة :

«يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبي فيستحى منكم والله لا يستحى من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن

وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما .

ويرسم القرآن القدوة الاللناس فى حياة الرسل والأنبياء

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة .

ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا

قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله

من يطع الرسول فقد أطاع الله

ويحدد القرآن (الآداب الاجتماعية) بين القيادة والاتباع

« ـ يا أيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي

ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون

ـ ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم

ـ ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم »

ثم يوجه القرآن القول الى الرسول فى شأن اتباعه

« ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه وما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين . وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين . واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده فإنه غفور رحيم

ويوجه الحق تبارك وتعالى نظر رسوله الى قصص الانبياء وما فيها من عظة وعبرة :

أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين . أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده ، قل لا أسألكم عليه أجرا ان هو الا ذكر للعالمين . »

وقد أخذ الحق تبارك وتعالى الميثاق على النبيين أن يتبعوا محمدا ﷺ ، وفى ذلك الدليل الناصع على عالمية رسالته وكمال نبوته

« وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقررتم وأخذتم على ذلك اصرى ، قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين »

وفى القرآن تصوير لمقام الرسول وصدقه فى التبليغ وعصمته عن التقول أو الوضع :

« فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون . انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون . ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون تنزيل من رب العالمين »

« ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا

منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين وانه لتذكرة للمتقين،
وأنا لنعلم أن منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين وانه لحق
اليقين فسبح باسم ربك العظيم . »

وبضع الحق تبارك وتعالى لنبيه حق البيعة فيجعل مقامه
ﷺ بدلا عنه تبارك وتعالى

« ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم
فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله
فسيؤتيه أجراً عظيما »

ومن هذه الآيات التى سجلها القرآن الكريم يمكننا أن
نتبين فى وضوح أصول القيادة ومهمتها وتبعاتها وتحديد العلاقة بين
القياده والاتباع

صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا

